بدر شاكر السيّاب

ولدَ في محافظةِ البصرة في جنوب العراق (٢٥ ديسمبر ١٩٢٦م – ٢٤ ديسمبر ١٩٦٤)، شاعرٌ عراقيٌ يعد واحدًا من الشعراء المشهورين في الوطن العربي في القرن العشرين، كما يعد أحد مؤسسي الشعر الحر في الأدب العربي .

عُرِف عن السيّاب حُبّه الشديد للمطالعةِ والبحثِ، وقراءة كل ما يقع بيدهِ من كتبٍ وأبحاثٍ على اختلافِ مواضيعها، وقد أشارَ إلى ذلك صديقه الأستاذ فيصل الياسري، إذ قال: (وكان السيّابُ قارئًا مثابرًا فقد قرأ الكثير في الأدب العالمي والثقافة العالميّة، كما أنَّهُ قرأ لكبار الشعراء المعاصرين قراءة أصيلة عن طريقِ اللغة الإنكليزية التي كان يجيدها، وكان يقرأ الكتب الدينية كما يقرأ الكتب اليسارية) .

وقد تميّزت قصائد السيّاب بالتدفقِ الشعري، والخروج عن الشكلِ التقليدي للقصيدةِ، كما اتّسمت بلمحةِ حُزنٍ سيطرت عليها؛ وذلك بسبب ظروف حياته الصعبة من الناحية الاجتماعية والنفسية والجسدية لا سيّما مرضه الذي أدّى في النهايةِ إلى موتهِ، ومن مميزات شعره استعمال الأسطورة والرمز، إذ لم يستعملها شاعر مثلما استعملها بدرًا، ولقد أكثر منها حتى أصبح من النادر أنْ تخلو قصيدة من قصائدهِ من رمزٍ أو أسطورةٍ، وكانت الأسطورة أحيانًا تصبح جزء من القصيدةِ، كما حَدثَ في قصيدة (مدينة بلا مطر) بينما تظل في أحيان أُخرى مجرد كلمة من كلماتِها غريبة ومعزولة لا يُبررها إلّا الهامش الذي يوضع لتفسيرها، ففي الحالة الأولى كانت الأسطورة تزيد القصيدة غنى، أمّا في الحالةِ الثانية فكانت تفقدُ القصيدة شعريتها أو بعض شعريتها كما حدث في المومس العمياء، والأسطورة عنده نقيض الواقع فهي تعني عنده الحب والحياة والحرية والغنى، أمّا الواقع فهو الكره والموت والاضطهاد، إنّ الأسطورة لكي تُغني

الشعر يجب أنْ تكون قادرة على استثارة المُتلقي بينما حشد السياب من أساطير الهند والصين واليونان وأوروبا ما لا يُثير في القارئ أي إحساس .

تعلَّق الشاعر بوالدتهِ التي أحبته ورعته رعاية خاصة لفطنته وذكائه، بيد أنَّ هذهِ السعادة والهناء لم تدم لبدر طويلًا، فسرعان ما خطفت يد المنون والدته وهو في الرابعة من عمره؛ لذا ذهب يحث خطى أحزانه ووقف على قبر والدته وخاطبه قائلاً:

فيا قبرَها افتح ذراعيك

إنّي لآتٍ بلا ضجَّةٍ دون آه !

ويقول :

أماه ليتك لم تغيبي خلفَ سورٍ من حجارٍ

لا بابَ فيهِ لكي أدُقَّ ولا نوافذَ في الجدارِ !

ولبدر شاكر السيّاب ديوان في جزأين نشرتهُ دار العودة ببيروت سنة ١٩٧١م، وجُمعت فيهِ عدّة دواوين أو قصائد طويلة صَدرت للشاعرِ في فتراتٍ مُختلفة، منها: (أزهار ذابلة ، وأساطير ، والمومس العمياء ، والأسلحة والأطفال ، وحفّار القبور، وأنشودة المطر ، والمعبد الغريق ، ومنزل الأقنان ، و شناشيل ابنة الجلبي ، وإقبال) .

وتعد قصيدتاه : **أنشودة المطر**، **وغريب على الخليج** صوتًا مميزًا في الشعر العربي الحديث، وفيهما يظهر صوته الشعري المصفى وقدرته الإبداعية العميقة، وأعطى من خلالِ حياته القصيرة عطاءً جزيلًا يفوقُ من حيث الكم والكيف ما أعطاه، أي من معاصريه خلال المدة نفسها .

إذ يقول في مطلعِ قصيدته (أنشودة المطر) التي استعمل فيها الرجز:

عَيْنَاكِ غَابتَا نَخيلٍ سَاعةَ السَّحَرْ

أو شُرْفَتَانِ رَاحَ يَنأى عَنهُمَا القَمرْ

عَيناكِ حِينَ تَبْسُمانِ تُورِقُ الكُرُومْ

وتَرْقُصُ الأضواءُ كالأقْمارِ في نَهَرْ

يَرُجُّهُ المِجدَافُ وَهْنًا ساعةَ السَّحَرْ

وفي هذهِ القصيدة استفاد من بحور الشعر العربي التي نجد أكثر الشعراء المحدثين يكثرون من استعماله حتى أصبح بحرهم المألوف، نجدهُ أحيانا ينتقل من بحرٍ إلى آخرٍ؛ ليستفيد من تنوع النغم كما حدثَ في قصيدتهِ **(جيكور والمدينة)**، فضلًا عن أنَّهُ ينوع في استعمال التفاعيل أحيانًا، ونوّع في شعرهِ أحيانًا فاستفاد من الكاملِ، والوافرِ، والرملِ، والسريعِ، والمتقاربِ، والمتداركِ .

وهناك قصيدته بين (الروح والجسد) التي أرسلها للشاعر علي محمود طه ولكنَّهُ مات قبل أن يكتب لها مقدمة وتناهز هذه القصيدة الألف بيت .

نجد أنَّ معاناة بدر قادته إلى النظمِ في قضايا كبيرة كالحرب والسلم والكفاح ضد الاستغلال والاستعمار والانحلال الاجتماعي، وقصائده من بداية المرحلة الثانية حتى منتصف الثالثة تعبير عن مثل هذه القضايا، وقد تحوّل في المرحلة الثالثة إلى قضايا كبرى أُخرى كالحب والموت والحب والفداء والحياة والموت، وقصائده من منتصف المرحلة الثالثة حتى موته تدور بشأن مثل هذه القضايا، لقد كانت موهبته قادرة على تحويلِ هذهِ القضايا الكبيرة إلى شعرٍ خالدٍ إلّا أنَّ انفعاليته وعدم انطلاقه من موقفٍ عقائدي ثابت مهما كان جعل معاناته الذهنية محدودة وضحلة أحيانًا، ومن السمات الشعريّة عند بدر شاكر السيّاب هو استعماله للتراكيب اللغوية والألفاظ بتعابير جديدة، بقولهِ: (إنَّ الشاعرَ الحديث مطالب بخَلقِ تعابيرٍ جديدةٍ، إنَّ عليهِ أنْ ينحتَ لا أنْ يرصفَ الأجر القديم) .